www.kotobarabia.com

قصص

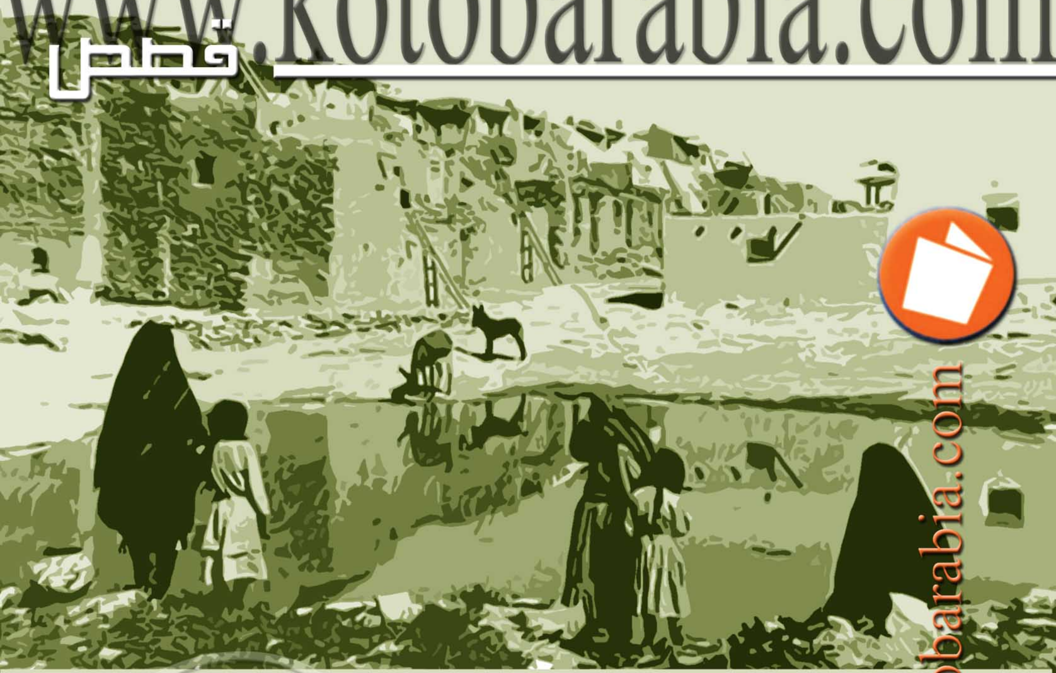

دنيا صغيرة

ابتهال سالم

www.kotobarabia.com

دُنيا صَغيرة

قصص

ابتهال سَالم

طبقا لقوانين الملكية الفكرية

جميع حقوق النشر و التوزيع الالكتروني لهذا المصنف محفوظة لكتب عربية. يحظر نقل أو إعادة نسخ أو إعادة بيع اى جزء من هذا المصنف و بثه الكترونيا (عبر الانترنت أو للمكتبات الالكترونية أو الأقراص المدمجة أو اى وسيلة أخرى) دون الحصول على إذن كتابي من كتب عربية. حقوق الطبع الو رقى محفوظة للمؤلف أو ناشره طبقا للتعاقدات السارية.

الفهرس

الفهرس ٣

الرحلة.. ٤

الحواجز الزجاجية ١٠

دنيا صغيرة... ١٣

صديقي "باتريوت"... ٢٠

الحائط الخلفي.. ٢٦

قلب القمر... ٣٦

النخيل والبحر.. ٣٩

علبة فارغة.. ٤٣

السجن في الحروف... ٤٩

الصدى والحب... ٥٣

المراهنة... ٥٦

الرقص دمي ٦٤

اغتصاب.. ٦٧

أغنية القلب الجريح... ٧٠

الرحلة

وقف الديك فوق رأسي وأخذ يهاتي، حتـى اطمـأن أن صياحه خرق طبلة أذني.

الحمد لله الذي لا يحمد على مكـروه سـواه، وصـحبنا وصبح الملك لله.

ها هو عقلي يغط في نومه على سريري، وكنت قد قلبت الدنيا عليه البارحة، وظننت أنه ذهب ولم يعد، وكنـت قـد حزنت وتعبت ونقبت ودرت وعليه ناديت.

- ١ -

فتحت الكيس ألمائي، غصت داخلـه، ترجرجـت أمـي وصرخت، خبطت على صدرها شاهقة خـالتي، وضـغطت القابلة حتى يأتي الولد بعد البنات الخمس، ضغطت انكمـش جسدي، صار عقلي كعصفور يفرفر، أنتفضت خارج الكيس ولذت بالفرار.

- ٢ -

تعلقت بشجرة الحواديت، وكنت أحمل بين كفي فطيـرا، حضر متسحبا على سخونته ثعلب الغابـة العجـوز، كانـت الشجرة كالفراء الوثير، والسماء مهد من الظـل المنقـرش

بشمس الشموسة، غنيت وكنت قد غفلت عن عدوى الرابض تحت الشجرة، غنيت، وكنت لم أشبع بعد، انزلقت مع الغناء قدمي، صارت الشجرة فوقي والعجوز تحتي.

- ٣ -

- صلي على النبي

رددت :

- عليه الصلاة والسلام

- وكمان زيدي صلاة عليه

أسرعت :

- أفضل الصلاة والسلام

وبعد، قالت جدتي :

- رجتْ يا أميرتي الصغيرة صرخة الغـول ذي العـين الحمراء القصور والحقول، أما الأميرة الصغيرة التي تشبهك يا أميرة، ذات الحسب والنسب والجدائل الذهب، فلم تخـف، وأصرت بعـد أن نـام الغـول، وأزعـج شـخيره الفـأر والصرصور على سرقة المفتاح من رقبة اللئيم، وفتح بـاب

الحجرة السابعة التي حرم عليها الغول بعد الحجرات الست فتحها وأكلت من التفاحة المحرمة، فانسخط الغول قردا، لكن عينه التي لم تزل حمراء، انقضت على الأميرة وكان ما كان، ومضى الملك يشكو لحكيم الزمان عقل الأميرة الذي ضاع بعد أن رأت ما رأت وقالت للغول أن عينه حمراء.

- ٤ -

جريت من سرداب إلى سرداب حتى وصلت إلى الليلة قبل الألف من الميلاد.

وكنت قد تركت ورائي الأمير والغفير والديك الذي يصيح والحصان الطائر وعروس البحر والليل البهيم.

أقول :

انسلت من الليلة قبل الألف "أم الدواهي" واختبأت في مواثيق البلاد على مر الدهور والعصور وظلت تسلب كما النداهة العقول.

وقالت "أم الدواهي" :

- أما أنت يا بني آدم، فإن قهرتني مثلت لك وان تبعتني مثلت بك.

وبعد الأمراء والسلاطين والجاه، تربعـت "أم الـدواهي" على كرسي الزمان وانقسمت وتكاثرت.

فتحت صندوق الليالي الألف، جلست والحكيم والعرافـة العجوز، تتدبر الحال وتتفحص.

قالت العجوز :

- لابد ـ كي تضل "أم الدواهي" الطريق ـ مـن قلـع عينها اليمين وخلع القلب من الجذور.

قلت :

- "إن كنت يا "أم الـدواهي" تمكـرين، فـإن الله خيـر ألماكرين".

سميت بالرحمن وجمعت من البشر الغفير ذوي الحكمـة والعامل والبسيط.

نعود إلى بدء القول ... ...

بعد أن هدأ صياح الديك، فرك عقلي عينيه، تمطع علـى السرير والي جواره لم يزل السيف والقلم والدليل.

ثبتُ عقلي في مكانه، واستعذتُ بالله من الغول والثعلـب العجوز وأم الدواهي والليل البهيم.

* * * * * *

الحواجز الزجاجية

قلت، وكانوا قد بدأوا الكلام عن فلان، وانفصـاله عـن فلانه والرجل الذي خسر صاحبه وفلانه التي ... ...

- من يملك فينا أن يعرف موطئ قدمه فقد نجا، أما إلقاء اللوم على ذاك أو تلك فلا.. ربما التراكمات الصغيرة، ربما الضغوط، ربما ... ...

أحباؤنا كألماء يتسربون من بين أصابعنا، وأمام أعيننـا، فلا تبعثر لحمك يا فلان وتسقط آخر حجر في بيتك.

لما سادت الكلمات المكررة، أضحت العيون الزجاجيـة، صار المجلس باردا، ببرودة الموت في الجسد الرخامي.

مددت يدي مودعة، اليد استطالت، اصطدمت بالحـاجز الزجاجي.

سارينات العربات أنياب تنهش رأسي، أسرعت متفاديـة الزحام والضجيج والليل المباغت.

كل الحروف المتبادلة بيننا نفدت، لم يبق إلا حد العين في العين، والمسافة بين زمننا والذاكرة فراغ يتسع.

الوقت مقتول بفعل الملل، والآهة تكاد تنطلق.

عبثًا حاولت أيدينا اختراق الحاجز الزجاجي.

قلت :

- يا فلان، قلبي / بيتك تربع فيـه لا تغـادر، لحمـي / لحمك لا تفارق.

العين في العين والحاجز خلف الحاجز، والكف لا تـزال ممدودة تحمل أول حجر في البيت.

* * * * * *

دنيا صغيرة

قالت العجوز :

"رأيتك والباب موصد بينك وبينه، وطفلة تبكي بين يديك وعين سوداء تنفذ من خلال شراعة صغيرة لتصل حيث أنت واقفة في الممر بين الباب الموصد وبينه".

وقالت خالتي بعد أن شمت مع العرافة العجـوز حتـى الباب وأعطتها ما فيه النصيب :

- كلامها لا ينزل الأرض أبدا.

قلت :

- الباب الموصد وعرفناه، فما بال الطفلة ....؟

قالت الخالة وهي ترمقني بنظرة ثقة :

- الطفلة هي الدنيا، فاطمئني وضعي في بطنك بطيخـة صيفي ، فالدنيا في صفك.

ذهبت الخالة لإعداد الشاي، وظللت مع نفسي أتساءل :

- الباب الموصد وأمره معروف، لكن فيم بكاء الطفلـة والدنيا معي ....؟

قلت لخالتي :

- فلأذهب عند أمي، ربما أجد خبرا يبل الريق.

وانصرفت مع وعد قريب بالزيارة.

على عتبة الباب المفتوح، رمقت أمي وأختي، وصـفوف من عيدان الملوخية تفصل بينهما على الطبلية.

قالت الأخت فور دخولي وهي تقطف أوراق الملوخية :

- أحدهم اتصل بك عند عم "كامل" البقال.

قلت وأنا ألتقط أنفاسي على الأريكة القريبـة مـن بـاب المنزل :

- ألم تسأليه عن اسمه ....؟

ردت الأم بتحفز والعرق يتصبب على جبهتها من تحـت المنديل الذي تعقد به رأسها :

- ليس هناك غيره، المحروس.

صمتت، بينما الأخت تقول :

- لقد قطع الخط، لكني شككت في صوته.

وأعقبت الأم :

- هو من غير شك، أله عين يتحدث بعد فعلتـه تلـك، حقيقة أن من اختشوا ماتوا ... ...!

قمت متثاقلة، وصلت إلى غرفة النوم التي أضحت أكثـر ضيقًا بعد إضافة مرتبة على الأرض بجوار السرير النحاسي العتيق لأمي.

أبدلت ثيابي محدثة نفسي بصوت خفيض :

- الباب الموصد وعرفناه، لكن فيم بكاء الطفلة والـدنيا معي ....؟

أخذت مكاني بجوارهما حول الطبلية.

- أنا أقبل أن تختاري لي بنفسك إن كان هذا يريحك.

قال بعد أن ألقى بقنبلة شروعه في الزواج من أخرى بعد سبع سنوات عجاف هي شقاء عمري معه.

قلت :

- وما حيلتي والأطباء والعرافين والأولياء لم ينفخوا في بطني حتى الهواء، من أين آتيك بالولد، ورحمـي لا يقـوى على حمل زهر البرتقال :

تصعبت أمي وجسدها البدين يهتز مـع تقطيـف أوراق الملوخية.

قالت :

- البخت إذا مال ....

قاطعتها أختي وهي تقوم على حيلها وفي يدها رأس ثوم كبيرة :

- ليس هناك داع لمثل هذا الكلام.

ألقت أمي عود الملوخية من يدها على الطبلية، صـائحة في أختي :

- أنت آخر من يتكلم، فات زمن ولم يطرق أحـد بـاب بيتنا طالبا يدك، كان ماله ابن فلان، العمر يجـري وسـوف تُعنسين عما قريب.

غمزت لي أختي، فأدرت وجهي عن أمي حتى لا تفلـت مني ضحكة مريرة.

- غدا يجئ عدلها ونفرح بها إن شاء الله.

قلت مخففة عنها، وأنا أجمع السيقان الملقاة على الأرض بعد الانتهاء من تقطيف الملوخية.

- إياك أن تجمعي عيدان "الرجلة" سوف أغليها وأرشـها على عتبة بيتك.

صاحت أمي محذرة وهي تراقب يدي :

بلعت ريقًا مرا وأنا أكمل جمع العدان. قلت لأمي :

- يا أمي، لا تحزني، قد فات الأوان، لقد سـمعت أنـه طرق باب العروس الجديدة، وأنا لن أعيش مع ضـرة مـا حييت، ثم حكيت لها ما دار في بيت خالتي وكـلام العرافـة العجوز.

قالت أمي :

- العين السوداء هي "دميانة" هذا بفعل عملها، هي هكذا تكرهنا من الباب للطاق، تلك الجارة العجوز الحدباء.

- سوف تكون الدنيا على اتساعها كثقب إبرة، ولن يسعك بيت على وجه الأرض حتى أمك.

قال بشماته وأنا أعد حقيبة ملابسي قبل مغادرتي المنزل:

- متى يعود أخي السيد .....؟

قطعت أمي سبابها في دميانة، اكتسى صوتها حزن شفيف.

قالت :

- لم أعد أراه إلا لماما، فمنذ دخوله الجيش وجسده قد نَحل، ووجهه شحب وانطفأت ضحكته، ماذا أقول عين وصابتنا و ...

تركت أمي في نواحها وشردت في نبوءة العرافة العجوز وكلام خالتي وقلت لنفسي :

- الباب الموصد وعرفناه ، لكن فيم بكاء الطفلة والدنيا معي .....؟

* * * * * *

٨٨/١٠

صديقي "باتريوت"

الدخان يخنق الغرفة، فتحت النافذة، لم أحتمـل لسـعات البرد وكذا رائحة المناور النتنة.

الغلالة الرمادية تفصل بين الباب الخشبي المتآكل وممـر الغرفة الوحيدة القابعة في أحضان المناور.

لم يزرني أحد في غرفتي / زنزأنتي كما علقت الصديقة الوحيدة التي ذهبت ولم تعد، جدرانها الصفراء تعزز اكتئابي، تقترب بي من حد الموت، فأتكور على شريط ضـيق مـن الضوء في المسافة بين المقعد والمكتب.

في ركن الغرفة، حيث يقع التلفـاز الرمـادي، زارنـي "باتريوت" وحين كانت الصورة تزغلل عيني، أصـعد إلـى السطح لإصلاح الإريال حتى لا يغيب هذا الـ "بـاتريوت" الجديد الذي شاركني غرفتي / زنزأنتي، وأصبحت أصـحو وأنام على ذكره.

"شنت القوى المتحالفة ستين ألف طلعـة وسـبعة آلاف غارة، كما أطلق المعتدي صواريخ باتجـاه مواقعنـا، لكـن "باتريوت" الشجاع صدها جميعا".

تذكرت أن "باتريوت" هذا قد رأيته عند عم "بدوي" الذي استبدل الفاكهة "بالأتاري" والذي يقع دكانه على أول الحارة، ويتجمع الأطفال عنده والتلاميذ الفارون من المدارس وكـذا بعض الشباب والعجائز.

"كي تجعلي غسيلك أكثر بياضا، استعملي "باتريوت" هكذا صاحت الفتاة الشقراء وهي ممسكة بملاءة براقة".

لم أكن أعرف أن هذا الصاروخ سوف يظهر على شاشة التلفاز وأن اسمه "باتريوت".

ألقيت نظري على طابور النمل الزاحـف علـى حافـة النافذة، بينما تعاود الشقراء ضحكها غامزة بعينهـا : "كـي تزيلي رائحة العرق، وتحصلي على بشرة ناعمة، اسـتعملي صابون "باترويت" ، "باتريوت" هو الأفضل دائمـا". بينمـا يصر المعلق المبتسم دوما : أن الصـاروخ الـذي أطلقـه المعتدي ليلة أمس لم يسبب خسائر في الأرواح والمعدات.

صرفت ذهني أن يكون المعتدي "باتريوت" فهو يمـارس لعبة طريفة طالما ساورتني نفسي أن ألعبهـا، حـين كنـت

أتلصص خلسة على المرات التي يصـد فيهـا الصـواريخ ويصفق الأطفال ويتعاركون على عدد مرات الانفجار.

"صرصور ضخم يرتدي رداء "سوبر مان" ممسكًا رمحا في يده، مزهوا، صائحا في مجموعة الصراصير حولـه: لا قوة تعلو فوق قوتنا، بينما انطلقت عبوة من مبيد الحشـرات "باتريوت" فجأة فأردتهم قتلى في الحال".

عراك القطط يتصاعد، مواءهم يعلو على صوت المعلق، يقولون أنه موسم التزاوج، العراك يقلب صـفائح القمامـة، ويكثف ضرباته على الأبواب الصماء.

أثاث بيت القليل يطقطق على نار الدخان الصـادر مـن الشاش، تتمايل الجدران مع صوت الانفجارات، يكاد تسـقط على رأسي.

ها هو الإرسال يهتز مرة أخـرى، لا نفـع فـي هـذا الصندوق الغبي، سوف ألقي به مع أول أنتقالـه مـن تلـك الغرفة/الزنزانة الصورة لا تزال مهزوزة، أنصت للصوت :

"جاءنا الآن البيان التالي :

أنجبت قطة، ثلاث قطط، أطلق صاحبها على واحد منها اسم Great Patriote، باتريوت العظيم.

قلت لنفسي : ربما بإمكان القط الجديد "باتريوت" وقـف هذا الزحف القططي.

انقطع التيار الكهربائي كما هو عادته في تلك الساعة من الليل.

آه، سوف أنزلق يوما في تلك المناور، ولن يلحـق بـي أحد، حتى "باتريوت"، فلم ألحظ صواريخ في لعبة الأتـاري تتجه إلى االمناور.

خرفشة ما تأتي من ركن الحجرة، آه، قد عاد الإرسـال مرة أخرى، والمعلق المبتسم دوما يعلـن : "إن القصـف لا يزال مستمرا، وقد دمرت صواريخنا الجسـور والكبـاري ومصنعا لحليب الأطفال".

خبطت على صدري شاهقة، انقطـع الإرسـال، توقـف صوت وصورة.

اقتربت من هذا الصندوق الغبي هززته بلا فائدة، أدرت القنوات بلا جدوى، خلعت حذائي، ضربته على أم رأسه ولا حياة لمن تنادي.

جززت على أسناني ، ما نفع هذا الأحمق "باتريوت"، إذا كان الحليب ينسال كما الدم على الطرقات.

لقد انحرف عن مسار اللعبة، لم أعـد أريـد رؤيتـه، و السماع عنه، سوف أطرده من منزلي.

هدني التعب، زفرت نفسا طويلاً، وعيني تترصـد هـذا الصندوق الأصم، بينما نفسي الواهنة تهجس بي :

"أينفض الأطفال عن اللعب، ويتصاعد عـراك القطـط، ويغيب بائع اللبن، أتسود تلك الرائحة النتنة .....؟"

١٩٩١/٢/١٠

* * * * * *

الحائط الخلفي

قالت أمي أثناء انشغالها بتقطيع أوراق الكرنب :

- "يا حبق، يا نبق، الحشو على قد الورق".

قلت :

- الوقت يجري يا أمي، ومازال أمامنا تقطيع الخضـار وتجهيز السلطة.

- سوف ننتهي قبـل أذان الظهـر، إن شـاء الله، ردي ورائي :

- يا حبق، يا نبق ... .

تنهدت مرددة :

- الحشو على قد الورق.

صوت أبي يزعق من الغرفة المجاورة للمطبخ :

- يا أولاد .....!

أمي منهمكة بما في يدها، غير عابئة بصياح الوالد.

قلت :

- أبي ينادي.

- دعيه يزعق إلى أن يمل.

- ولكن يا أمي.

- هو هكذا، لن يهدأ، إلا إذا تركت ما بيدي وجلست إلى جواره.

قلت مداعبة :

- لا يستغنى عنك يا أم العيال.

أحكمت لف ورقة الكرنب على الحشو، تنهدت صائحة :

- بعد ما شاب .....!

- الزهرة يا أمي وإن ذبلت، رائحتها فيها.

- المهم أن يتركني في حالي، منذ خروجه على المعاش وهو يحشر نفسه فيما لا يعنيه، ولا يدعني أكمل عملاً. ثـم تنهدت بصوت ملؤه الشجن :

- الحب تركناه لأصحابه، كانت أيام ....!!

ضحكت، فضحكت أمي مرددة :

- اللهم، اجعله خيرا.

- أين "وزة" أختي.

قلت وعيناي تدمعان من الضحك :

- مقصوفة الرقبة ما تزال نائمة.

ثم مدت أمي رقبتها نحوي هامسة :

- لم يحضر الشخص الذي تحدث عنها مع أمه كما هـو متفق عليه، يبدو أن الزيجة لن تتم.

- إن شاء الله تتم على خير.

- قادر على كل شيء.

- حدثيني يا أمي، أهو صحيح أن فكيهة خالتي أشـعلت النار في نفسها بعد أن ..

توقفت أمي عن الحشو :

- لا تكملي، استغفري ربك، واطلبي لها الرحمة، ولنـا الصبر.

- وعامل البناء الذي سقط من البناية العالية أمام منزلنـا القديم، ألا تذكرينه .....؟

رصت أمي الحشو في الآنية، صـاحت دون الالتفـات نحوي :

- لا إله إلا الله، يا ابنتي، هذه حكاية قد مر عليها زمن، أنت هكذا، طوال عمرك مختلفة عن أخوتك، دائمـا تسـألين وتندهشين، قطعة من أبيك.

- حتى الآن يا أمي، لا تغيب عن ذاكرتي دائـرة الـدم حوله.

تصعبت أمي، وضعت الآنية على النار، مكملة حديثها :

- عجبا، ألم أقل لك، أنك مثل أهل أبيـك، لا تتركـون حكاية إلا وتنبشون وراءها حتى تأتوا برأسها.

اقتربت نحوي صائحة :

- ما الذي ذكرك بتلك الحكاية .....؟

- لا أدري.

رددت، محدقة في شقوق الحائط والصـدأ الـذي أكـل "صاج" دولاب الأواني.

علا صوت أبي في الغرفة المجاورة للمطبخ.

دارت أمي في أركان المطبخ عدة مرات، محدثة نفسها :

- أقعده المرض منذ زمن، ومازال صوته عاليـا مثـل أهله، كان يوم لم تطلع له شمس يوم تزوجته.

ثقبت نظرتي وجهها، فأخفضته صامتة .

صوت أبي يزداد علوا :

- يا أولاد.

- حالاً، سأحضر حالاً. صاحت أمي مهرولـة خـارج الباب.

دخل ابن أخي المطبخ أثر خروجها بلحظات، وقف على مقربة من الباب بحجمه الصغير الضئيل.

ناديته بود :

- تعال.

لم يحرك ساكنًا.

- تعال، لا تخف.

حدق في يدي المتسختين، قمت، تبعني حتى وصلت إلى الحمام.

ظل واقفًا على مقربة مني، يرمقني أثناء تنظيف يدي من آثار الحشو.

حين استدرت نحوه، انطلق كالصاروخ، تبعته، حتى انزوى في صدر أبيه، الجالس في الشرفة وحيدا.

ربت أبوه على رأسه، قال مهدئًا اياه :

- هذه فاطمة، عمتك.

رمقني الصغير بنصف عين.

أشار أبوه نحوي :

- لا تخف، هذه عمتك فاطمة، قل ورائي فا.. فاطمة..

لم يردد الصغير حرفًا، اكتفى بدفس رأسه في صدر أبيه.

نفضت عني دهشتي، ابتسمت لأبيه الذي ازداد وجهه شحوبا.

قلت :

- لا تتعجله ، غدا يألفنا.

حين استدرت لأكمل ما ورائي، رأيتها تخطو بجوار مائدة الطعام كالسائرين نياما.

سألتني متثائبة :

- أين أمي .....؟

قلت :

- ألم تمري عليها في حجرة أبيك .....؟

- لا أريد تعكير مزاجي يا أختي.

صاحت، وهي تدفع جسدها على المقعد.

سحبت مقعدا، جلست قبالتها.

- وما الذي يعكر صفوك إن شاء الله وأنت نائمة حتى الظهر .....؟

وضعت يدها على وجنتها، صائحة :

- نائمة كمدا يا أختي على طلوع الفجر، فقد كانا يتناقران طوال الليل :

- "العين بصيرة واليد قصيرة" تلك أمك.

- أنت لا خير فيك.

- نقود الجمعية نفدت ونحن على مشارف عيد.

- ليس هناك باب، إلا ... و... "طرقته".

أخذت نفسا عميقًا، أردفت :

- وهكذا، تظل الأسطوانة دائـرة، ويعتصـرني الأرق خلف الحائط البارد، لقد شخت يا أختي، ولم أتعـد السـابعة والعشرين بعد.

قلت بنفاد صبر :

- سنتحدث فيما بعد، المهم المطبخ في انتظار سـيادتك، لم يتبق وقت، فأخوك الكبير وزوجته على وصول، لم يبـق إلا أيام على رحيلهما خارج الوطن.

دقت بيدها على المنضدة، صائحة :

- هكذا الحـال إذن .....؟ لا يتـذكروننا إلا قلـيلاً، ألا تكفيهم سنوات الغربة .....؟ علام يتكلون، على أب أقعدتـه الشيخوخة، أو أم يزيد الضغط عليها كـل عـام، أو علـى صاحبتك، أختك العزيزة، التي تنتظر دورهـا فـي طـابور الجواري كي تحظى بابن الحلال.

تنهدت متأسية :

- يعودون إلينا، ليعودا من حيث أتوا، وتظل حـوائطهم الزجاجية تعلو، ونظل تحت الحائط الخلفي ننتظر.

تلفت حولي، حتى اطمأننت أن لا أحد يسمعنا، حتى أخي الجالس في الشرفة وحيدا، غير عابئ لنا.

ربت على كتفها :

- سنجلس يوما ونتشاور معهم، المهم أسرعي.

قامت متثاقلة، مشت في اتجاه المطبخ، لاحظت انحنـاءة ظهرها.

جرى ابن أخي خلفها، شدها من ذيل ثوبها دفعته بغلاظة.

رمقني بنظرة باكية، مددت له يدي، مد لي كفًا مرتعشة، ضممته إلى صدري، كما لو كنت أعرفه منذ سنين.

٣ / ١٩٨٩.

* * * * * *

قلب القمر

قال، ضاربا كف بكف :

- هذا والله شيء يخل بالعقل، ألا زلت تصـرين أنـك رأيت قلب القمر ينشق .....؟

ردت والعروق تنفر من رقبتها :

- أقسم إني رأيت قلب القمر ينشق.

أعطاها ظهره، تنهد وهو ينظر إلى المرآة.

- وبعد .....!

جلست القرفصاء على فراشها، تحفزت لإكمال روايتها :

"انشق قلب القمر، خرج منه أمير يافع، شق بسيفه مجرى عسل، أقسم إني اغتسلت فيه، مد لي كفًا من ذهب، ونزلـت ناره الحانية بردا وسلاما على عصفور قلبي الصغير".

أخرج حافظة نقوده، قلب في دفتر شيكاته، وساعة يـده تعكس ضوءها على عينيها، وقبل أن يستدير ليخـرج مـن الغرفة، التفت نحوها صائحا :

- لابد أنك جننت، كفى عن الحلم وكوني امرأة على قدر أعوامك.

نهضت من على فراشها، جرت وراءه، نادته :

- دوما تتركني والحائط وحدي والحوائط فـي غيابـك تخرج لي لسانها.

أسندت ظهرها على الحائط البارد، سرت القشعريرة في بدنها، همست :

- أتراه لا يصدقني، ولمن أبوح بهمي وأفض بحلمي.

"أرحل – أميري – في سفينة صدرك ألوانًـا وأعوامـا، أعود وكفك مرفئي – تحويني يفاعتـك – وتطـرح حبـات عنقودك لؤلؤًا على صدري، تصير صحتك لجسرا، نلتصق، نصير كحبة مطر".

أقسمت لكل من رأت، أنها شاهدت قلب القمـر ينشـق، وعليه أن يصدقها وإلا نضب العسل وصار الكف حجرا".

نادته، انفرط عقد الحبيب، نادته للمـرة الألـف، شـاب الحلم، ورد الصدى صمتًا.

* * * * * *

١٩٨٨/٧

النخيل والبحر

قالوا : ابن موت.

قلت :

- للموت وقت والحقيقة أزمان.

الفؤاد جريح وأنت تأتيني مع ريح الجبال إلى قلب البحر، تحط النوارس على صدرك، تنادي السمك الصغير :

"مشتاق للشبار مع أرز يطقطق على النار."

آه، ابتلعك سمك المدن الغبية.

يشد البحر الرحال حيث النخيل والجبال، فيتوهج النبض في قلب الموت.

كان الحلم باتساع المد في عينيك وأنت تعبث بالعمامة ساخرا :

- آه، حان الرحيل.

- الوقت لم يزل يا سيدنا الشيخ، سأعد لك كوبا من الشاي.

ضحك، فلمعت عينا الطفلتين.

قلت مشاكسة :

- كيف تكون شيخًا وأنت لم تتعد الأربعين بعد .....؟

- أنت يا ابنة البحر، لا تدرين ما يدور فـي تجـاويف الجبال، عشت والصبية وأخوتي داخلها، لسعتنا عصا شـيخ الكتاب، فألهبت ظهورنا الصغيرة في عز البرد، صرنا نردد، وترد علينا أصداء الجبال التي لم يكن هناك ونيس غيرهـا، اللهم إلا الشمس الحارقة وصقيع الأطراف، وضعوا العمامة على رأسي ولم أبلغ الحلم بعد، زارني حصان الشعر خلسة، عبر الجبال، وظل ينتقل – بي – من بلاد الله لخلق الله، حتى قابلتك يا ابنة البحر ورأيت كيف ينفجر بركان شـعرك فـي قلب الموج.

- تذكرني أبياتك بالأشجار الراسخة في وجـه الـريح، وبنفاذ الحقيقة في قلب الشمس.

- دائما تبالغون يا أولاد البحر، لكن الشهادة لله "السـمك الشبار مع الأرز حلاوة".

قلت وأنا أهم بإعداد الشاي :

- لا يغلبك أحد في الكلام، صدقني أنا لا أبخسك حقـك، وعلى قدر معزتي لك، أخاف عليك.

نظر إلى وجهي مليا، كانت روحـه شـامخة كالجبـال، ورقيقة كعين طفل، وكان الجسر بيننا حروفـًا مضفرة مـن النخيل والبحر.

* * * * * *

١٩٨٨/٧

علبة فارغة

رمقته – بعينيه الصغريتين – على الرصيف الفاصل بين اتجاهين.

طرحت الشك جانبا، عبرت بين السيارات، كانت أنفاسه في الزحام تخنق خطواتي.

قلت :

- أقطع الشك باليقين.

صعدت أول أتوبيس صادفني، لحق بظهـري، زعمـت للسائق أني ركبت خطأ غير الذي أقصده، قفزت في الإشارة، وقبل أن التقط أنفاسي، كان ورائي.

قصدته ، كان في نهاية العشـرينات، يرتـدي قميصـا وبنطلونًا عاديين، غير أني لمحت آلة صـغيرة فـي جيـب قميصه العلوي، أشبه بالقلم، لكنها ليست كذلك.

- ماذا تريد .....؟

صحت في عينيه الصقريتين :

رد بوقاحة :

ماذا تريدين أنت .....؟

- إذا لم تمش في حال سبيلك، ستكون مصيبتك سوداء.

بدأ صياحي يجذب بعض ألمارة في الطريق.

قال وهو يلف سلسلة معدنية حول سبابته :

- أنا أسير في الشارع وقتما أحب، وكيفما أشاء، ولسوف أجعلك تندمين على صياحك معي.

دفعت صدره بقبضة يدي صائحة :

- إذا لمحتك ورائي، سأوقعك في شر أعمالك.

ازداد صياحي وثباتي باقتراب المزيد من النـاس، دارت عيناه الصقريتين، وما هي إلا لحظات وكان فص ملح وذاب.

تقيأت غيظي وسخطي، كان الغليان في صدري أقوى من سطوة الشمس عند آذان الظهر.

انعطفت إلى شارع جانبي، وفي زاوية منـه، تراصـت أحذية فارغة وقامات محنية.

تحاشيتهم في ممر طويل موصل إلى المبنى الذي أقصده، تعثرت قدمي بعلبة فارغة، قـذفتها لأبعـد مـدى، متابعـة دحرجتها على الأسفلت الساخن.

لحقت بمدير الدار قبل ميعاد خروجـه، اعتـذرت عـن التأخير، وسألته عن الأوراق المركونـة فـي الأدراج منـذ شهور مضت، ضغط على زر مكتبه، محدثـًا شخصا ما في الغرفة المجاورة، وما هي إلا دقائق، وكانت الأوراق أمامـه على المكتب.

أوقات من الثلج مرت بين انتظاري وصمته.

- آسف، لا تصلح.

قال وهو يخلع نظارته ذات الإطارات المذهبة.

حدق في وجهي المطفأ، علت وجهه ابتسامة باهتة.

تحدث في هدوء بارد :

- إلا إذا، حذفنا بعض الفقـرات، أو أعـدنا صـياغتها بمعرفتنا.

نهضتُ من على مقعدي، كمن لدغتني حية.

قلت، وأنا أمد يدي :

- أفضل سحبها.

رجع بظهر مقعده للخلف، صاح بلهجة ساخرة :

- هكذا أنتم، دائما متسرعون.

سألته دهشة :

- ما الذي تعنيه بأنتم .....؟

علا الوجوم وجهه حتى خلته صنما، بلعت ريقًـا مـرا، اتجهت خارج مكتبه والأوراق تختنق في يدي.

كانت الحارة – عند عودتي – على غير عادتها، طابور من النسوة يحملن صفائح فوق رؤوسهن، يـتجهن صـوب مضخة المياه في نهاية الحارة، وجوه غريبة، وكومة سوداء في الزقاق المجاور، اتكأت على الحائط الموصل لمنزلـي، تجنبا الوقوع في الحفر.

كانت "بطة" و "سيدة" اللتان تقطنـان الـدور الأرضـي، واقفتين عند المدخل، بينما الولد "عليوة" ابن بطة يحجل على مقربة منهما.

سألتهما عن الكومة السوداء في الزقاق المجاور، أسرعت "سيدة" بالحديث :

- الولد "أبن باتعة" وقع في البلاعة. صعدت السلم ، ورأسي يدور في عزاء أهل الولد "أبن باتعة" وفي تدبير زوج من الجنيهات حتى الغد.

حين اقتربت من الطابق الذي أقطنه، رأيت "أم محمد" جارتي تنزل مسرعة على السلم، حاملة صفيحة فارغة في يدها.

حين لمحتني، تحدثت بلهجة لاهثة :

- ولا نقطة "ميا" ، نزلت من أول النهار.

انحشر المفتاح في الكالون الصدئ لباب الشقة، بالكاد أدرته، دفعت الباب بكتفي، ألقيت الأوراق على أقرب منضده، اتجهت إلى دورة المياه، سحبت دلوا فارغًا، ونزلت السلم متفادية صفيحة قمامة فارغة تعبث داخلها قطة.

حين وطئت قدمي تراب الحارة، كانت العينان الصقريتان في انتظاري، مصوبتين نحوي.

* * * * * *

١٩٨٨/٨

السجن في الحروف

انتهيت من قراءة جريدة الصباح الرسمية، طويتها من منتصفها، ألقيت بها، بامتعاض، على أقرب منضدة للمقعد الذي أجلس عليه في غرفة المعيشة.

أكملت الرشفة الأخيرة من القهوة.

نهضت من على المقعد، والصداع يسبب لي ألما قاسيا، تحاملت على نفسي وأنا أدير مقبض الباب الخارجي. درجات السلم تدور بي، ذهبت إلى أقرب صيدلية، ابتلعت أقراصا مهدئة.

اتصلت هاتفيا من عند البقال لأعتذر عن عمل اليوم. حين عدت إلى المنزل، تناولت قرصا وحاولت أن أغفو قليلاً، لكن عبثًا.

أصابني الغثيان، فهرعت إلى دورة المياه، ألفيته أمامي في المرآة المعلقة أعلى الحوض، حرفًا أعوج، كبير الحجم، قبيحا، ذا ندبات وبثور، وأسيجة من المداد الأسود فوقه بالطول والعرض.

نظرت من خلال الفتحات المربعة الضيقة للأسيجة، رأيت الشمس قابعة في زاوية ما، تبكي الحلم المقتول في

عيون الأطفال، والعصافير متقوقعة داخل الأعشاش تأبى التغريد.

اقتربت أكثر، رأيت أشخاصا يضعون الخوذات على رؤوسهم، يمسكون بالهراوات في أيديهم، يدهسون بأقدامهم الغليظة جثث قتلاهم في الشوارع والأزقة، حيث فرقعات العظام تحدث أنات أشبه بصوت الرعد المكتوم.

رأيت قنابل حارقة، ومنازل مقلوعة من جذورها، ورجلاً يتحدث مع نفسه عن نفسه، وآخر ينزع ثيابه كاملة ويبول في ميدان عام وطفلة تنتحر حزنًا.

ارتعشت أطرافي، كاد الدم يجمد في عروقي، صرخت، كورت قبضتي، سددتها صوب الأسيجة. أفقت من ذهولي لأجد دما سائلاً أعلى الحوض، وأمواس الحلاقة وزجاج المرآة، ومعجون الأسنان والصابون مبعثرين على الأرض.

استدرت ، ألملم هلعي، فتحت باب الدورة، جريت متخبطًا في أرجاء المنزل، ودوائر الدم المتساقطة من يدي تتسع.

كان الحرف الأعوج يلاحقني على الجـدران والأرض والسقف والمناضد والمقاعد والستائر، حتى مقابض الأبواب والنوافذ يحاول الإمساك بي، متعقبا وقتي القصير، ملازمـا زمني الضيق.

طرحني الأعياء أرضا، وحين أفقت وجدته ماثلاً علـى الحائط، قابضا على ظلي.

* * * * * *

١٩٧٩/٢

الصدى والحب

يتبعثر العالم فوق جسدي، وأنا ملقاه كهيكل عظمي على سريري، تترنح الغرفة، أستعين بالتداعيات.

في غيابك أفتقدك.

تدور عيناي في زوايا الحجرة، تزداد الحوائط صـفرة، أبصق على كتب المنطق، أقذف الوعي من الشباك.

الذباب يدور حول سـلة المهمـلات، أزواج الجـوارب المعكوسة، منشورة على حافة السرير.

أكوام الأعقاب العطنة تخنق الحيز المتبقي من الهـواء، والملاءة المبعثرة تفوح باللحظة المسروقة من قبضة الزمن، يتساقط الجير من السقف المتآكل، والكرتونات ذات الماركات الأجنبية الممسوحة تطل من فوق الدولاب العتيق.

الراديو اليتيم فوق الكرسي الوحيد بالغرفة، والتليفزيـون الأصلع ينطق بالخرس.

الحر الشديد النفاذ والمروحة كالعادة معطلة.

في غيابك أفتقدك.

تتكسر أسوار الغرفة / الزنزانة.

أضحك ضحكًا كالبكاء المكتوم، أركـض لاهثـة بـين السيارات والأدخنة.

أدق على بابك، يأتيني صدى الوحدة صمتًا حزينًا.

تتوزع عيناي بين الطرقات بحثًا عنك، أو عـن غرفـة ضيقة ألقاها الزمن الردئ في لحظة عبث.

يتبعثر العالم فوق جسدي، الشوارع تضيق كثقب الإبرة، وزمننا المجنون عاد إلى صوابه، أصبح أشد قسوة وعنـادا من المنطق.

في غيابك أفتقدك.

أحلم، أن تتسع الجدران، لتسع العـالم، وتتبـدل رائحـة العطن بالألفة.

* * * * * *

١٩٨٨/٣

المراهنة

سألها مندهشًا :

- بردانة .....؟

شدت طرفي ياقة بلوزتها صائحة :

- متجمدة.

ضغط على زر بجوار كاسيت صغير، بدأ الدفء يسـري تدريجيا في أطرافها، تراخت في جلستها، ضغط علـى زر آخر، انغلقت جميع نوافذ العربة.

أدار عجلة القيادة، صائحا :

- بحب البرد، وأنت .....؟

- بحب الدفا والونس.

الأشجار والبيوت تمرق في لمح البصر، أضواء النيـون تنعكس على واجهة السيارة.

داعب الدفء تداعياتها، فأنساها رقعـة الجـورب فـوق ركبتها والتي كانت تحاول مـداراتها بـذيل ثوبهـا، ورأس أصبعها الذي يكاد يطل من مقدمة حذائها المتهالك، وسـأمها المتكرر من قلة راتبها الذي لا يصل ولـن يصـل لشـراء

معطف، وحمدت ربها على الصـدفة التـي جمعتهـا وذاك الصديق القديم في تلك الليلة القارصة، وإلا ما كان قد لمحها وهو على بعد خطوات من المؤسسة التي تعمل بها ودعاهـا إلى توصيلة مجانية.

أفاقت على صوته :

- هيه، رحت فين .....؟

أخذت نفسا قويا :

- في الدنيا

مال بوجهه – نحوها – مبتسما :

- الدنيا يا حلوة فهلوة .....

عقدت الدهشة لسانها، بدت ملامحه متغيرة، وكأنها تـراه لأول مرة.

عاودت الذاكرة تداعياتها، كانا أبناء حي واحد، في مدينـة ساحلية صغيرة، إلا أنها لم تره لسنوات طويلة، سمعت أنـه رحل إلى البلاد البعيدة.

دققت في قسمات وجهه التي علته تجاعيد خشـنة، كمـا اعتلى المشيب مقدمة رأسه، رغم أنه لم يتعد الأربعين بعد.

ورغم ياقة قميصه المنشاة، إلا أن ربطة عنقه بدت فجـة الإحمرار، وغير متناسبة مع السترة الصوف المربعة.

اقتربا من الحي الذي جمعهما شارعه ذات يـوم، أوقـف المحرم، فتمنت لو ألغيـت جميـع المؤسسـات والأعمـال الإضافية في ليالي الشتاء القارصة ولا تغادر دفء العربة.

قالت بصوت مبحوح :

- الدنيا تلج بره ......!!

أدار عجلة القيادة صائحا :

- نلف شوية، وادينا بندردش، الدنيا ساعة حظ.

مر حول السوق في المربع الذي يلي شارعهما، دار حول موقف الأتوبيسات المتهالكة كقطع خردة مكومة، ليخرج إلى الشارع الرئيسي.

أخرج علبة سجائر فاخرة، حاول إعطاءها واحدة، رفضت متعللة بتعب صدرها.

لم يلق بالاً لما تقول، ضغط علـى زر الولاعـة الذهبيـة فأضاءت المساحة بين وجهيهما، لاحظـت انتفـاخ جفنيـه وانطفاء نظرته.

علا الضجيج والصخب مع تشغيل المسجل، تسللت نظـرة إلى ساقيها فضمتها بسرعة.

خرج صوته مع دوائر الدخان :

- إيه رأيك ....؟؟

- الصوت معقول ، بس مش فاهمه حاجة.

هز رأسه مع اللحن مرددا :

- تعرفي، أنا شاري الشريط والمسجل وفوقهم الخنزيـرة ومكتب تصدير وعمارتين، بأرنب أخضر آي والله أرنب.

فرد صدره مستأنفًا حديثه :

- آي والله ، أرنب أخضر.

أردف، بثقة العارف لنفسه :

- وصاحب الصوت ممكن أشتريه لنفسي، وبالتمن اللـي يطلبه.

دارت عيناها في الحيز الضيق للعرب، قرضت أظافرها، حاولت الخروج من ضيق اللحظة، صائحة :

- فاكر لما كنا بنط من سور المدرسة ونخلي الولد "بسة" ابن فهيمه يمسك شُنطنا وهدومنا، ونفضل نجري لما نوصل يمة البحر، وأمي تشم ريحة الملح في جسمي تسـلط أبويـا يضربني.

عقد حاجبيه، حرك رأسه كمن يحاول التذكر.

أردفتْ :

- ولما كنا نروح حي "الأفرنج"، نتشعلق ورا العربيـات، ونتراهن مين فينا يجمع أكتر من صفايح الزبالة.

ابتلعت الفرملة ضحكتها، كاد رأسـها يصـطدم بواجهـة السيارة.

علا الوجوم وجهه، صارت تقاسيمه أكثر حدة.

قال :

- أظن كفاية كده، نرجع.

حين فاحت رائحة العطن، أدركت أنهما اقتربا من الحـي الذي جمعهما شارعه ذات يوم.

قطعت الصمت :

- تراهني ......؟؟

رد وقسمات وجهه الجامدة مطبوعة على زجاج العربة.

- علي إيه ....؟

- تقف ساعة لوحدك على محطة الأتوبيس، مش بتقـول انك بتحب البرد.

استدار بوجهه نحوها متعجبا :

- وهي دي مشكلة .....؟

- يعني موافق ....؟.

- من بكره.

أشارت على منزل قديم في نهاية شارع السوق :

- نزلني هنا.

دفعت بعد نزولها باب العربة بغلظة، دارت ناحيـة بابـه أثناء تشغيله لمحرك السيارة.

صاحت وعينيها مصوبتين نحوه :

- لو أنا كسبت الرهان، تكون العربية من حقي.

الصقيع يغرز مخلبيه في جسدها المتكور، والمسافة بـين انتظارها والعربات التي بدت متشابهة جليد ممتد.

* * * * * *

١٢/١٩٨٨

الرقص دمي

المقعد يهتز بي على أصوات الديسكو الصاخبة في التلفاز.

العقرب يرقص رقصته الأخيرة.

قلت :

- "ارقص يا قلبي رقصتك المفضلة".

دار حول نفسه، سألني :

"بأية قدم أدب على الأرض، اليمين أم اليسار، أو الإثنين معا".

كل الرقصات تبدأ بخطوة، وخطواتك نبضي، فارقص يا قلبي رقصة الدم المباح على الطرقات والحجر الدائر في عيون الأطفال والحلم الأخضر في عين الصبية ليلة عرسها والنبت المنبثق من الأسفلت.

رقصة الريح الخفيف قبل العاصفة، وفوران الخلايا، الميت في الحي، والحي الذي ولد من الممات.

رقصة الطائر المهاجر في غيمة الغربة.

واجعل الوتر وترين .. والإيقاع اثنين .. والكف كفين.

كل الرقصات تبدأ بخطوة ، فأطلقها .. وأشد مـن قلـب القلب.

* * * * * *

اغتصاب

جدائل حديدية متشابكة، تتخللها ثقوب دائريـة صـغيرة. كنت كل يوم، أمر بمحاذاة السور الحديدي للمرفأ، الذي ترقد على سطح مياهه، في الجزء الأمامي القريب من المرسـى، نصف دائرة من القوارب الصغيرة البيضاء الشبيهة بقوارب الورق التي كنت ألهو بها مع أخوتي وأبناء الجيران ونحـن صغار.

كنت كل يوم أختلس النظر من وراء الثقوب، إذ تلسعني نظرات بعض السائقين الجالسين على حافة السور.

خمس دقائق من سور المرفأ إلى موقف عربات النفر، لا تبيح لي غير قطرة رؤية، تسبق خطـوتي اللاهثـة عينـي، فيسقط مني التأمل ويدهس تحت حذائي المتهالك.

توالت الأيام التي عددت فيها بعض القوارب واقتربت من تحديد لون النوارس.

نزلت درجات السلم في تؤده، غازلت قدماي الطرقـات. اليوم، سوف تكتمل الصورة في ذهني. "سـاتر عـال مـن التراب ، أكوام مـن الـزلط والخشـب، أسـلاك حديديـة، بولدوزر، فؤوس ومعاول، أكياس من الرمال".

اثنان من الأجانب، أحدهما أشقر طويل القامة، والآخـر قصير يضع عوينات سميكة الزجـاج، يتحـدثون بلهجـة لا أفهمها".

تناثرت الكلمات من أفواه بعض السائقين الجالسين علـى حافة السور.

شردت : سيزيلون القوارب التي كنا نلهو بها صـغارا، سيحجبون الهواء الذي خلفته النوارس الراحلـة، سـيردمون الماء، أحقًا سيردمون الماء .....؟

أخذت أناملي الضعيفة تحـاول جاهـدة فـك الجـدائل الحديدية، فلا جدوى.

أمسكت بالسور الحديدي، هززته بكلتا يدي.

التصقت عيناي بالثقوب أكثر. أحسست بالدوار.

استدرت، أسحب قدمي خلفي في اتجاه عربـات النفـر، وأنهار من الملح تبلل شفتي وتذيب آخر قطرة رؤية.

* * * * * *

١٩٨٢/٩

أغنية القلب الجريح

مهداة إلى أطفال الحجارة

بالأمس، كان دورها في تنظيف السلم.

وقف في المدخل الذي يحتوي المطبخ ودورة المياه، قال :

- ألن تأتي معي .....؟

أحنت ظهرها لتحمل الدلو :

- سوف ألحق بك حين أنتهي.

صمت قليلاً، صاح مقلبا الوريقات النقدية الباهتة على المنضدة الخشبية :

- ألا يوجد غيرها ....؟

- خذها.

- وأنت.

- سوف أتدبر أمري.

قالت، وهي تقطع صابونة رخيصة قطعا صغيرة وتلقيها في الدلو.

وصلت عند الباب المفتوح للدار، وتحت إبطها مكنسة صغيرة.

لحق بها عند الباب :

- أمتأكدة أن "أم نوسة"، ستحضر القميص الأبيض كي أبدله قبل الحفل .....؟

وضعت الدلو على عتبة الباب، استدارت نحوه، لمحت انطفاءة عينيه الصغيرتين، تذكرت أنها لم تبتاع لبنًا منذ أيام مضت.

همت بوضع كفها المتسخ على كتفه، تراجعت ، ردت بصوت خفيض :

- عهدنا "أم نوسة" صادقة، فاذهب تصحبك السلامة وإلا تأخرت عن موعدك.

مرق سريعا، ساحبا ظله النحيل، حدقت في درجات السلم التي علتها محتويات صفائح القمامة التي بعثرتها القطط الضالة أثناء الليل.

سكبت الدلو، فانسال الماء ألما على درجات السلم.

بعد الانتهاء، طرقت باب الجارة.

قالت الإبنة الصغرى ذات الوجه الذي لا يخلو من اصفرار وبعض البقع البيضاء :

- ذهبت أمي إلى السوق وهي على وصول. نادت على الجارة التي تقطن أسفل منها، طالعها وجهها على درابزين السلم.

سألتها بعض ما يلزم، فبعثت إليها مع صغيرها ما يكفي لمرور اليوم.

وصلت بعد بدء الحفل بقليل.

- مهاجر من وطن ضائع لقلب جريح .....!

علت دقات الأكف مع الأغنية، لمعت النشوة على الحدقات.

رددت معهم تلك الكلمات التي مست قلبها فلم يهدأ.

"مهاجر من وطن ضائع لقلب جريح" ....!

كانت رسومات الأطفال معلقة على الحائط الجيري لبناية مدرسة قديمة من دورين، التقت عيناها ببيت ووردة، وطفل

ملثم بعلم وطنه يلقي حجرا، وامرأة عجـوز ترفـع علامـة النصر، دبابات وطائرات وبيوت من شجر.

لم تكن تعرف إلا القليلات مـن الأمهـات اللاـواتي يصـحبن أطفالهن.

وقف بعيدا في مؤخرة القاعة الصـغيرة، طـرف بعينـه نحوها، كان وسيما ينشد وسط أصدقائه فوق خشبة المسـرح الصغيرة، لاحظت أن ذراعي القميص الأبيض أقصر قلـيلاً مما كان على ابن "أم نوسة".

تذكرت يوم أن قضت عليها جدتها :

"رأت الخنفساء بيضها على "الحيط" قالت أنه لولي وله خيط".

لكنها رأته أميرا يحمل سيفًا من فضة ورأتهـم صـغارا، كبارا، طيورا، وأوراقًا، ورودا وأنهارا، وكانـت الأغـاني تنطلق من وجدانهم الصغير حجارة.

* * * * * *

نوفمبر ١٩٨٧

انتهت